

طرق ومناهج البحث في علم النفس النمو

مقدمة

تعتبر المناهج والطرق العلمية للبحث ضرورية لبناء أساس سليم لنمو العلم، و لقد تقدمت مناهج و طرق البحث في علم نفس النمو في مراحلها المتتابعة و أصبحت الآن أكثر علمية، و تهدف إلى الوصول إلى حقائق و قوانين و نظريات راسخة في علم نفس النمو. كمل يمثل البحث في علم النفس النمو عملا علميا ينتمي إلى فئة العلم التجريبي (الأمبريقي) و الطريقة العلمية للبحث تمثل لونا من الاتجاه أو القيمة ممل يتطلب من الباحث الإقناع والالتزام بمجموعة من القضايا هي

- اختيار أدوات جمع المعلومات و البيانات وهي المعطيات و المعلومات التي يحتاجها الباحث في بحثه اعتمادا باستخدام الأدوات جمع المعلومات أو البيانات
- الموضوعية في استخدام أدوات جمع البيانات
- قابلية البحث العلمي الاستعادة و التكرار
- لقرار صحة الفرض أو النظرية .

ويسعى الباحثون عند دراستهم لعلم النفس النمو إلى فهم أفضل للإنسان كما يؤدي إلى عدد من الوظائف

الوظيفة الأولى للبحث في علم النفس النمو اختبار الفرضيات المنبثقة من النظرية وهي أن تتفق نتائج البحث والافتراضات دلالة على القيمة الحقيقية للنظرية

أما الوظيفة الثانية للبحث فهي في إيجاد افتراضات جديدة حول سلوك و النمو و من أجل ذلك البحث في علم النفس النمو يسعى إلى تطوير النظرية وتحديد أبعادها بحيث يؤدي البحث إلى تركيبات جديدة تتصل بالنظرية المعنية أو النظرية التي يجري اختبارها .

وتمثل الوظيفة الثالثة للبحث فهي المساعدة على تفسير السلوك و التنبؤ به و من خلال البحث في علم النفس النمو فإننا نستطيع تحديد صلاحية البيانات النظرية لتفسير السلوك مما يسمح لنا الوصول إلى عدد من التنبؤات تجعلنا في موقف أفضل في تحديد الظروف اللازمة لأحداث نمط سلوكي معين .

أخلاقيات البحث العلمي في النمو الإنساني

إن النشاط البحثي يهدف أساسا إلى تقديم المعرفة الموثوق بها وهذا ما يسعى إليه الباحثين إلى العمل بتجرد وموضوعية وأمانة علمية في البحث فان القواعد الأخلاقية التي تميز الباحث النزيه فيما يلي :

- إن أي تغير أو التزييف في البحث العلمي تلغي صحة البحث
- لا يجوز للباحث أن يضع فروضه بعد استخلاص النتائج البحث

- استخدام أساليب موضوعية في الملاحظة و أدوات جمع البيانات الأخرى التي تبرر الثقة في البيانات واستخلاص دلالات عن صدق البيانات وثباتها
- الوعي في محددات انتقاء العينات وضبط العوامل وطرق القياس و المعالجة الإحصائية وعمليات البحث
- الأمانة العلمية هي المبدأ الأساسي في تقرير النتائج البحث بالصورة التي توصل إليها الباحث سواء ايجابية أو سلبية
- لا يجوز الباحث أن يقوم بإجراءات بحثية لها آثار سلبية على الأفراد المشاركين في البحث ويجب الحصول على الموافقة من طرف الأفراد المشاركين في البحث مسبقا
- الصراحة والأمانة هما الصفاتان المميزتان للعلاقة بين الباحث والمفحوص
- المتغيرات البحث في أبحاث النمو الإنساني
- نعني بالمتغير مصطلح يدل على صفة محددة تتناول عددا من الحالات أو القيم أو يشير إلى مفهوم معين يجري تعريفه إجرائيا بدلالة إجراءات البحث ويتم قياسه كميًا أو وصفه كيفيًا.
- أنواع المتغيرات
- للتأكد من صحة الفرضية أو خطأها لا بد من مفاهيم تكون قابلة للقياس. وقد تعددت تصنيفات المتغيرات بحسب الغرض الذي تستخدم فيه، ويمكن تصنيف المتغيرات إلى ثلاث هي حسب جاي **1990**

1- تصنيف المتغيرات بحسب مستويات القياس

تصنف المتغيرات بحسب مستويات القياس

أولاً/ **متغيرات مجردة ومتغيرات ملاحظة:** كثير من المتغيرات التربوية عبارة عن كميات مجردة يستدل عليها من خلال السلوك فان السمات الافتراضية الكثيرة يصعب قياسها وتبقى مجرد افتراض

ثانياً **متغيرات كمية ومتغيرات نوعية:**

إن عدد من المتغيرات لا تقدر عددياً بمعنى ليس كمي وهذا تسمى بالمتغيرات النوعية **qualitative** مثل الجنس

- المهنة - التخصص العلمي، أم هناك عدد آخر من المتغيرات يقبل التقدير الكمي كالاتجاه و الميل ومفهوم

الذات و القلق .

ثالثاً / **متغيرات مستقلة ومتغيرات تابعة:** هذا النوع من المتغيرات يشيع استخدامه بين الباحثين خاصة ما يتعلق

منها بالدراسات التجريبية حيث ينظر إلى المتغير المستقل على أنه المتغير الذي يتم التحكم فيه بينما المتغير

التابع عن متوسط أداء الأفراد العينة الدراسية على أداة القياس المستخدمة .

رابعاً / **متغيرات معدلة ومتغيرات مضبوطة ومتغيرات دخيلة :**

المتغير المعدل هو تغير الأثر الذي يتركه المتغير المستقل في المتغير التابع إذا اعتبره الباحث متغيراً مستقلاً

ثانويًا

المتغير المضبوط فهو المتغير الذي يسعى الباحث لإلغاء أثره على التجربة. ويمكن ضبطه كالعزل أو الحذف .

المتغير الدخيل بأنه من المتغير المستقل الذي يدخل في تصميم الدراسة ولا يخضع لسيطرة الباحث ولكنه يؤثر في النتائج الدراسة

2- تصنيف المتغيرات بحسب الظواهر ذات الصلة بها :

ويمكن تصنيف المتغيرات ذات الصلة بها إلى متغيرات مثيرة - ومتغيرات استجابة - متغيرات وسيطة . ويشير الباحثون إلى أن علماء علم النفس النمو يعتقدون بأنه يمكن بناء علم السلوك من خلال دراسة العلاقة بين المتغيرات المثيرة و المتغيرات الاستجابة بافتراض ان المتغيرات الاستجابة تعتبر دالة مباشرة للمتغيرات المثيرة.

3- تصنيف المتغيرات وفق خصائصها الرياضية:

يعتقد الباحثون براون **1983** بأهمية الخصائص الرياضية لأدوات القياس النفسي التي تقرر نوع العمليات الحسابية التي يمكن استخدامها وتنقسم وسائل القياس إلى أربعة مستويات

المقياس الأسمي - المقياس الرتبي - المقياس الفتري - المقياس النسبي .

أبعاد البحث العلمي في النمو الإنساني:

تحدث الباحثون عن تقسيم أبحاث علم النفس النمو بطرق متعددة فقد أوضح **ماكندلز 1971**

و لا يوجد منهج واحد صالح لدراسة كل مظاهر النمو بل يختلف منهج الدراسة و طريقته حسب الموضوع، لذلك من الضروري الإحاطة بأهم مناهج البحث في هذا العلم و هي

ثانيا/المنهج الوصفي:

يجري البحث المعلمي في موقف مهياً صناعياً من خلال مجموعة من الإجراءات تتيح إمكانية التحكم في عدد من المتغيرات الطارئة بحيث يسمح البحث بقياس أكثر من دقة ونقاء . وفي هذا النوع من البحوث يسمح بإجراء قياسات السلوك التي لم تتأثر بتعلم سابق . و البحث الوصفي فيصطنع الملاحظة الطبيعية أسلوباً ومنهجاً وتجري عادة في الميدان يقوم الباحث فيها بتسجيل ما يفعله الناس في ظروف مماثلة لظروف الحياة الواقعية . وهذا النوع من البحوث ذو فائدة خاصة في دراسة النمو الذي لا يمكن دراسته في المعمل لأسباب أخلاقية أو علمية

يتناول المنهج الوصفي الظواهر النفسية كالخوف، الغضب، القلق، الانطوائية و التوتر، كما يتناول دراسة التاريخ البحث التشكيلي و البحث اللاتشكيلي:

يشتمل البحث التشكيلي على إجراء تغيير تجريبي لأحد التغيرات في محاولة لتحديد ما إذا ذلك يؤدي إلى إبراز فروق في السلوك الأفراد الذين تجرى عليهم التجربة و المتغير الذي يجرى تشكيله يسمى بالمتغير المستقل و المتغير الذي يقاس يسمى بالمتغير التابع.

أما البحث اللاتشكيلي فيقوم الباحث الذي يجرى التجربة بملاحظة وتسجيل سلوك الأفراد المشتركين في البحث بدون إجراء أي تشكيل . بحيث يجرى البحث في وسط طبيعي وان كان ذلك ضروري .

البحث النظري والبحث الغير النظري:

إن قدرا كبيرا من الأبحاث حول نمو الطفل تهدف إلى اختبار نظريات معينة . وإن عدد كبيرا أيضا من الأبحاث التي يجريها الباحثون تفتقر إلى نظرية معينة يقوم الباحث باختبارها وفلكن يمكن استخدامها كقاعدة لبناء نظرية .

الطريقة الطولية / من الطرق المألوفة في دراسة النمو ومظاهره لفرد أو جماعة من الأفراد من أول المرحلة حتى النهاية شهرا بعدا شهرا و عام بعد عام على نفس الفرد أو الجماعة وقد تمتد طول الفترة الزمنية إلى أو أكثر يسجل خلالها التطور الذي طرأ على الأفراد في الأعمار المتتابة جسميا وعقليا وانفعالي. لهذا توصف أنها تتبعية طولية

- تستخدم لدراسة ثبات أو تغير بعض الخصائص النمائية عبر مراحل النمو المختلفة كذكاء – العدوان
- وتستخدم لتحديد أثر متغير على متغير آخر . وكذلك لمعرفة خصائص النمو المختلفة في كل تغير الزمن
- أشهر الدراسات الطولية دراسة لويس تيرمان : استمرت **35** عاما حيث بدأت الدراسة عام **1921** بهدف اتشاف الصفات الجسمية العقلية و الانفعالية التي تميز المتفوقين عن غيرهم ومعرفة أساليب حياتهم وقد اختار لهذه الدراسة **1528** طفل تراوحت نسب ذكائهم ما بين **140** فما فوق وقد تمكن من التوصل إلى النتائج مذهلة عن الخصائص النمائية للمتفوقين عقليا .

الطريقة المستعرضة / تقوم على دراسة مجموعة من الأفراد في مستويات عمرية مختلفة لدراسة خصائصهم النمائية في نفس الوقت دون الانتظار طويلا لنموهم الجسمي عند الأطفال عبر المراحل نموهم يتم اختيار عينات كبيرة من الأفراد في السنوات (**2-4-6-8**) وتدرس مظاهر النمو في المراحل المختلفة .

في دراسة مستعرضة عن العدوان لدى الأطفال في أعمار معينة قام الباحث بملاحظة السلوك العدوان ومظاهر التعبير عنه لدى مجموعة من الأطفال في أعمار متفاوتة

أولا/ المنهج التجريبي:

يعتبر أدق المناهج و أفضلها و ذلك لسببين رئيسين هما

أنه أقرب المناهج إلى الموضوعية عكس بعض المناهج التي تتصف بدرجة عالية من الذاتية.

يستطيع الباحث الذي يتبع المنهج التجريبي السيطرة و التحكم في العوامل المختلفة التي يمكن ان تؤثر على الظاهرة السلوكية.

و الباحث الذي يستخدم المنهج التجريبي لا يقتصر على مجرد وصف الظواهر التي تتناولها دراستهن و إنما يدرس متغيرات هذه الظاهرة و يحدث في بعضها تغييرا مقصودا و يتحكم في متغيرات أخرى ليتوصل على العلاقات السببية بين هذه المتغيرات.

و تسير الدراسة حسب هذا المنهج وفق التسلسل الآتي

ظاهرة، هدف، فروض، تجربة، نتائج، حقائق، قوانين نظرية

- الظاهرة: تدور الدراسة حول ظاهرة من ظواهر النمو يدور حولها سؤال أو مشكلة تتحدى تفكير الباحث و تدعوه إلى حلها و تعتبر المشكلة سؤال يحتاج إلى جواب مثلا: ظاهرة جناح الأحداث

- تحديد المشكلة: يحدد الباحث المشكلة على أساس تعريف و بلورة الظاهرة بوضوح و تجميع علامات الاستفهام المحيطة بالظاهرة، مثلاً: ما هي الأسباب الحقيقية لظاهرة جناح الأحداث؟
- تبيان الهدف: و عادة ما تكون أهداف البحث العلمي في مجال علم نفس النمو و علم النفس العام هي: التفسير، التنبؤ الضبط. و قد سبق التعرض لها في المحاضرة رقم
- فرض الفروض البحث : الفرض عبارة عن تفسير محتمل أو إجابة مؤقتة لإشكالية يضعها الباحث و تكون قابلة للتحقق أو الرفض بعد التجريب.
- التجربة: يقوم بها الباحث هادفاً إلى تحقيق فروضه كلها أو بعضها أو رفضها كلها أو بعضها، و يشترط إن تكون التجربة موضوعية و دقيقة و يقوم الباحث فيها بالتجريب على عينة تجريبية ممثلة لمجتمع أصلي بمعنى أن لها نفس خصائصه قبل تعميم النتائج النهائية .
- نتائج البحث: و هي ما يتم التوصل إليه بعد تحليل البيانات و تفسيرها ثم صياغة القوانين و على أساسها يضع الباحث نظرية حول الظاهرة التي عالجها بالدراسة .

المراجع

- د- عادل عزالدين الأشول: علم النفس النمو . مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة -1983
- د- حسين عبد العزيز: المدخل إلى علم النفس . دار الفكر العربي - القاهرة - 1995.
- ليونيل روشان - تعريب د- جورجيت الحداد: " التفتح النفسي- الحركي " . عويدات للنشر و الطباعة .بيروت لبنان . ط1-2001.
- د- سامي محمد ملحم: علم النفس النمو - دورة الحياة الإنساني " . دار الفكر .الردن .عمان ط1-2004.
- د-محمد عودة الزيمائي : علم النفس النمو . دار المسيرة للنشر الأردن - عمان - ط1- 2008.
- <http://www.kids-psychology.com/before-school/>